

السؤال

لماذا لم يسم الله نفسه بالمتكلم ، مع أنه يتكلم ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

يمكننا - للتوضيح - أن نعبر عن السؤال بصيغة أخرى فنقول :

هل يجوز أن يُشتقَّ من صفاتِ الله تعالى وأفعاله التي أثبتها الله لنفسه أسماءً له عز وجل يتسمى بها ، ليدعوه بها عباده ، ويحصوها مع أسمائه حتى ينالوا الأجر المذكور في قول النبي صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) رواه البخاري (2736) ومسلم (2677) ، أم أن هناك ضابطاً في اشتقاق الأسماء الحسنی من الصفات والأفعال ؟

لا بد أولاً من إرجاع الحكمة إلى الله تعالى ، فهو سبحانه صاحب الكمال المطلق ، يتسمى ويتصف بما هو أهل له ، والعباد إنما يتلمسون شيئاً مما بينه لهم في كتابه من كماله وجلاله وعظمته ، فالإله يرجع الأمر كله ، وله الحكمة البالغة سبحانه وتعالى .

إلا أننا نحاول الوقوف على فقه أسمائه وصفاته من خلال ما ورد في الكتاب والسنة ، نتأمل في ذلك لعلنا نصل إلى ضابط في تحديد الأسماء الحسنی .

وقد اختلف العلماء فيما سأل عنه الأخ الكريم ، مما أدى إلى اختلافهم في تعداد أسماء الله الحسنی ووضع الضابط لها ، فقد جعل بعضهم الأمر تعديداً محضاً ليس فيه شيء من معاني القياس أو الاجتهاد كما فعل ابن حزم ، وتوسع بعضهم فأجاز تسمية الله بالمتكلم والمريد وبكل اسم جاء وصف الله تعالى بمعناه في الكتاب أو السنة ، وهذا مذهب ابن العربي المالكي وغيره .

وتوسط بعض أهل العلم ، فتأملوا في موارد الأسماء الحسنی ، فوجدوا أن الصفة إذا كانت صفة مدح مطلق ولا تحتل الذم بوجه من الوجوه : كالسمع والبصر ، فحينئذ يأتي في النصوص اشتقاق الاسم منها فيسمى الله نفسه بـ " السميع " و " البصير " .

أما إذا كانت الصفة تحتل النقص والذم بإحدى الوجوه : كالكلام مثلا ، فإن الكلام قد يكون كذبا وظلماً وسوءاً ، فيكون نقصاً يفضل السكوت عليه ، فحينئذ لا نجد اشتقاقاً للاسم من هذه الصفة ، ولا نجد من أسماء الله : المتكلم .

وهذا هو تقرير العلامة ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم ، وقول أكثر علمائنا المعاصرين .

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى في "شرح العقيدة الأصفهانية" (1/19-20) :
 "وأما تسميته سبحانه بأنه مرید وأنه متكلم :

فإن هذين الاسمين لم يردا في القرآن ، ولا في الأسماء الحسنی المعروفة ، ومعناها حق ، ولكن الأسماء الحسنی المعروفة هي :
 التي يدعى الله بها ، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة ، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها .
 والعلم والقدرة والرحمة ونحو ذلك هي في نفسها صفات مدح ، والأسماء الدالة عليها أسماء مدح .
 وأما الكلام والإرادة : فلما كان جنسه ينقسم إلى محمود : كالصدق والعدل ، وإلى مذموم : كالظلم والكذب ، والله تعالى لا يوصف إلا بالمحمود دون المذموم... فلماذا لم يجرى في أسمائه الحسنی المأثورة : المتكلم والمرید " انتهى .
 ويقول أيضا رحمه الله في "بيان تلبیس الجهمية" (2/10-11) :

" وذلك أن الله سبحانه له الأسماء الحسنی ، كما سمي نفسه بذلك ، وأنزل كتبه ، وعلمه من شاء من خلقه ، كاسمه : الحق ،
 والعليم ، والرحيم ، والحكيم ، والأول ، والآخر ، والعلي ، والعظيم ، والكبير ، ونحو ذلك .
 وهذه الأسماء كلها أسماء مدح وحمد ، تدل على ما يحمده ، ولا يكون معناها مذموما ...
 والله له الأسماء الحسنی ، ليس له مثل السوء قط ، فكذلك أيضا الأسماء التي فيها عموم وإطلاق لما يحمده ويذم ، لا توجد في
 أسماء الله الحسنی ؛ لأنها لا تدل على ما يحمده الرب به ويمدح " انتهى .

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى كما في "مختصر الصواعق" (2/34)

" لم يأت في أسمائه الحسنی المرید والمتكلم ولا الفاعل ولا الصانع لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم ، وإنما يوصف
 بالأنواع المحمودة منها كالعليم والحكيم والعزيز والفعال لما يريد " انتهى .

ويقول أيضا رحمه الله في "مدارج السالكين" (3/415-416) :

" وما كان مسماه منقسما - يعني إلى كامل وناقص - لم يدخل اسمه في الأسماء الحسنی : كالشيء والمعلوم ، ولذلك لم يسم
 بـ " المرید " ، ولا بـ " المتكلم " ، وإن كان له الإرادة والكلام ؛ لانقسام مسمى " المرید " و " المتكلم " ، وهذا من دقيق فقه
 الأسماء الحسنی ، فتأمله وبالله التوفيق " انتهى .

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى "شرح الواسطية" (1/86) :

" ولهذا لم يسم الله نفسه بالمتكلم ، مع أنه يتكلم ؛ لأن الكلام قد يكون خيرا ، وقد يكون شرا ، وقد لا يكون خيرا ولا شرا ،
 فالشر لا ينسب إلى الله ، واللغو كذلك لا ينسب إلى الله ، لأنه سفه ، والخير ينسب إليه ، ولهذا لم يسم نفسه بالمتكلم ، لأن
 الأسماء كما وصفها الله عز وجل : (ولله الأسماء الحسنی) الأعراف/180 ، ليس فيها أي شيء من النقص ، ولهذا جاءت
 باسم التفضيل المطلق " انتهى .

وانظر جواب السؤال رقم (39803) ، (48964)

وللتوسع انظر كتاب "معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنی" للدكتور محمد بن خليفة التميمي (50-59)
 والله أعلم .